بقلم :
انور السادات

.. كان جمال سالم يطالب بذبح الملك فاروق .. وكنت أرى أن مشكلة الملك يجب الا تتحول إلى مذبحة .. فالرجل منهار تماما .. ومستعد لترك مصر في أي لحظة .. وبمجرد أن ننذره سيلوذ بالفرار .
وكنت حريصا قبل كل ذلك على الا يتدفق شلال الدماء في مصر .. لانه إذا تدفق فلن يتوقف ابدا ....

كيف أخرجنا الملك فاروق من مصر..

إتصل علي ماهر بالملك فاروق — الذي كان يقضي الصيف في الاسكندرية — وحصل على موافقته على تشكيل الوزارة التي كلفه بها مجلس قيادة الثورة .

ثم إتصل بنا علي ماهر في القيادة وقال إن الملك موافق ، وانه سيذهب لمقابلته في الاسكندرية في الساعة الخامسة من نفس اليوم .. ولكنه يريد قبل ذلك أن يقابلنا .

وإتفقت أنا وجمال عبدالناصر على الذهاب لمقابلته في منزله بالجيزة .. وقبل أن نذهب قررنا أن تكون هذه المقابلة بداية فتح المعركة مع الملك .

ولكن كيف ؟؟

فكرنا في تقديم بعض الطلبات إلى الملك لاثارته وإستفزازه .. فاذا رفضها .. يكون قد أعطانا مبررا لفتح المعركة معه .. وأخترنا ستة طلبات لا تشكل أية أهمية بالنسبة لنا ولكنها يمكن أن تستفز الملك وتثير غيظه ..

وكان من بين هذه الطلبات الغاء « تنظيم الحرسات » المعمول به في الجيش .. ولم يكن هذا الالغاء مطلبا ملحا بالنسبة لنا ، وكان يمكن أن نتركه لذلك القائد العام الجديد للقوات المسلحة ..

كذلك طلبنا إستبعاد حاشية الملك وعلى رأسها انطون بوللي .. وذلك بهدف ترفيه فاروق !! وكان أهم هذه الطلبات جميعا تعيين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة ..

وذهبت أنا وجمال لمقابلة علي ماهر ومعنا هذه الطلبات الستة .. التي إعتبرناها الطلقة الاولى في معركتنا مع الملك .. وإستقبلنا الرجل في صالون فيلته بالدور الاول وكان يبدي السعادة ، لانه تصور انه كسب الثورة والملك في آن واحد .. وقدمنا له « الطلبات » فقرأها بتمعن ثم قال :

— انا رأيي إن الملك سيستجيب لهذه الطلبات بسهولة .. ومن مكالمتي له اليوم احسست انه مستعد للتفاهم ولا يريد إثارة مشاكل مع الثورة .. وإن شاء الله الموضوع يعدي على خير

وبعد أن تحدثنا معه بعض الوقت .. قام علي ماهر وودعنا ثم استقل سيارته في طريقه إلى الاسكندرية لمقابلة الملك .

وكان الملك في انتظاره على احر من الجمر .. وأمر بأن يقابله في الحال بدون بروتوكولات ولا رسميات .. ولم تستغرق المقابلة وقتا طويلا

وفوجئت بعلي ماهر يتصل بي من الاسكندرية بعد وصوله بوقت قصير .. وسألته على التليفون

— إيه .. خير ؟؟

— الملك قبل جميع طلباتكم بلا إستثناء .. وكمان محمد نجيب على حيثيته قائد عام للقوات المسلحة بس .. لا بد رقاه من رتبة لواء لرتبة فريق كمان

— والحاشية ؟

— والحاشية كمان .. كل طلباتكم إتنفذت .. بس انا رأيي

— إيه ؟

— رأيي يعني تيجي إنت وواحد زميلك من القيادة وتكتبوا اساميكم في دفتر التشريفات .. يعني شكر للملك لانه نفذ جميع طلباتكم .. وبكده تبقى خلصنا الموضوع .. وكل المسائل تمشي تمام .

— طيب حارد عليك إن شاء الله بكره .. وإفهمك إيش هنجي .

وأخبرت جمال بمكالمة علي ماهر .. وكنا في ليلة ٢٤ يوليو ومازالت قواتنا تتدفق على الاسكندرية لاحكام السيطرة هناك .. ومر يوم ٢٤ ولم ارد على علي ماهر .. ولمس الرجل بالقلق الشديد وهو في الاسكندرية ينتظر إتصالنا به .. ففوجئت به يتصل بي مرة أخرى يوم ٢٥ ويسألني لماذا لم تحضر ؟ .. فقلت له انني سأحضر اليوم .. فقال إنه سيكون في انتظاري في « بولكلي » حيث رئاسة مجلس الوزراء بالاسكندرية

وكانت قد إتفقت مع جمال على أن اسافر إلى الاسكندرية يوم ٢٥ يوليو بعد أن تكون قواتنا قد احكمت السيطرة على المدينة ، واقدم الانذار إلى الملك وتتم عملية تنازله عن العرش بدون مشاكل أو اخطار .. ولهذا لم ارد على علي ماهر طوال يوم ٢٤ يوليو .

ويبدو أن إتصال علي ماهر بي بالذات اكثر من مرة قد خلق عقدا لدى بقية أعضاء مجلس الثورة .. ولكن المسألة كانت منطقية جدا .. لان علي ماهر — شانه شان البلد كلها — لم يكن يعرف من اعضاء المجلس حتى ذلك الوقت الا انور السادات وذلك بسبب نشاطي السياسي والوطني قبل الثورة .

المهم انني قبل أن اغادر القيادة في طريقي إلى الاسكندرية تكلمت مع جمال في موقف الملك .. وقلت له : انه من الواضح أن الرجل منهار تماما منذ حريق القاهرة .. بدليل ما قلته لك من انه أعد قائمة بأسماء الذين سيرافقونه عند رحيله من مصر .. ولهذا إستجاب لجميع طلباتنا بدون مناقشة .. يعني بصراحة ليست هناك مشكلة حقيقية من جهة فاروق .. ولو قلنا له يخ حيجري من الخوف .. لهذا لا ارى داعيا لعمل معركة تستهلك قواتنا .. كل ما هو مطلوب أن نحاصره ونوجه إليه إنذارنا .. وبعد ذلك سيتنازل عن العرش ويخرج بهدوء .

وارتاح جمال لهذا التحليل وقال :

— المهم تخلصني من وجع الدماغ ده .. علشان نقدر نعمل « كنترول » على البلد .

ومازلت اذكر هذا الموقف الذي مرت عليه حوالي ٣٠ سنة .. وكان جمال يدخن سيجارة « كرافن » .. وكان من عادتنا جميعا أن ندخن الكرافن .. ومثل علينا محمد نجيب .. وعندما ودعني سألني

— رايح فين يا انور ؟

— انا رايح إسكندريه

— طيب مانا اروح معاك

ولم يكن مقصورا أن يسافر نجيب معي إلى الاسكندرية .. ولكن رحبت انا وجمال بسفره معي .. وذهبت معه إلى مطار قديم في منشية البكري — عند بيت جمال عبدالناصر — اسمه مطار ألماظة .. وركبنا طائرة أعدها لنا سلاح الطيران إلى مطار النزهة بالاسكندرية .. ومن النزهة ذهبنا إلى مقر رئاسة الوزراء في بولكلي مباشرة .. وفوجئت بالعشرات من الصحفيين ينتظروننا هناك ومعهم الات التصوير وكأنهم ينتظرون لمباراة شعبية .. ودخلت انا ونجيب مكتب علي ماهر فوجدناه في انتظارنا والقلق يطل من وجهه .. وبادرني بالقول :

— إيه اللي اخركم .. هوه فيه حاجه ؟؟

— أبدا .. مفيش حاجه

— اصل الملك قلقان .. والفار لعب في عبه لما إتاخرتم

وحاولت أن أطمئن علي ماهر بقدر الامكان حتى اتأكد من موقفنا العسكري .. ولكنه قال لي

— طيب إنت رأيك ايه نجيب تروحوا تكتبوا اساميكم في دفتر التشريفات وتشكروا الملك إنه إستجاب لطلباتكم .. ونخلص المسالة على خير .

وأحسست أن هذا الطلب يعبر عن قلق علي ماهر وقلق الملك معه ، وعدم تأكده من نوايانا نحوه .. فقلت له :

— بس اروح معسكر مصطفى باشا اتكلم مع زملائي الاول .. وبعدين ارد عليك على طول .. وغالبا سارجع لك الساعة سته .

ذهبت إلى معسكر مصطفى باشا وكانت الساعة حوالي الثالثة بعد ظهر يوم ٢٥ يوليو .. وكان اول شيء يشغلني هو التأكد من موقف قواتنا في المدينة .. سألت زكريا محي الدين الذي كان مسيرا لعمليات الثورة ومسئولا عن تحريك القوات فقال لي :

— والله انا مش حاكون جاهز قبل بكره الساعة تمانية الصبح

— ليه يا زكريا ؟

— فيه قوات لسه واصله من الطريق الصحراوي وما إرتاحتش ولا أكلت وجبة ساخنة .. وفيه قوات لسه ما وصلتش .. وعلشان عمليتنا تنجح لازم احاصر كل الاماكن إلي بيروحها الملك .. لانه ممكن يهرب عندك من القصر للقصر .. وتفشل العملية ..

— يعني مش ممكن قبل بكره الساعة تمانية

— مش ممكن

إذن لابد أن نؤجل تقديم الانذار الموجه إلى الملك إلى صباح الغد — صباح ٢٦ يوليو .. وبالتالي أؤجل موعدي مع علي ماهر الذي لم يكن له أي مبرر الا تقديم الانذار .

واتصلت بعلي ماهر في الساعة سته وإعتذرت عن إتمام اللقاء بحجة إنشغالنا ببعض الاعمال في معسكر مصطفى باشا .. وقلت له انني سأحضر له في الصباح .. صباحا .

وجاءني صوت علي ماهر ينضح بالقلق والاضطراب وهو يقول

— إيه .. فيه حاجه ؟؟

— لا أبدا .. مجرد مشاغل .

— أصل الملك قلقان ويسال عن القوات إلي وصلت إسكندرية

— اه .. دي قوات علشان تامين البلد وتأمين الاجانب

— يعني مفيش حاجه

— أبدا .. الساعة تسعه حاكون عندك

— ارجو متتاخرش علشان نخلص الموضوع بكره

وكان الموضوع الذي يعني علي ماهر هو أن يطمئن الملك على عرشه ، ويطمئن هو على استقراره في رئاسة الوزارة .. اما الموضوع الذي كان يعنيني فهو أن تستكمل قواتنا إستعدادها لكي أوجه الانذار .. ونتخلص من الكابوس .. وكان كل منا يرى الامور من وجهة نظره .

وسهرت في معسكر مصطفى باشا انتظر إستكمال قواتنا استعداداتها .. وكان زكريا محي الدين منكبا على خريطة توضح جميع الاماكن والاركان التي يتردد عليها الملك ليقوم بعملية حصارها .. بحيث لا يفلت من قبضتنا لو أنه حاول الهرب .

ووصل جمال سالم إلى الاسكندرية قادما من القاهرة .. وكانت الثورة قد قامت وهو في العريش ولم يصل إلى القاهرة الا ثاني ايام الثورة .. ولما علم من جمال عبدالناصر انني موجود في الاسكندرية لاخراج الملك قرر أن يلحق بنا .. وجلسنا معا ليلة ٢٦ يوليو نجهز الانذار الذي سنوجهه إلى الملك .

وكانت وجهة نظري كما شرحتها سابقا لجمال عبدالناصر أن اخراج الملك لا يحتاج إلى معركة .. وأن الرجل مستعد للرحيل منذ شهور طويلة .. ولكن جمال سالم كان يرى عكس ذلك وكان مصرا على قتل الملك .. قلت له وانا احاول اقناعه بالمنطق .. ما الداعي للقتل والدخول في معركة لا لزوم لها مادام أن فاروق سيجري بمجرد سماع الانذار .. إن القتل ليس عملية سهلة سيفتح علينا معارك جانبية نحن في غنى عنها ، خصوصا أن هدفنا في هذه المرحلة هو السيطرة على الموقف وتدعيم الاستقرار في البلد حتى ننتقل إلى الخطوات الاخرى التي ننتظرها .. وقد اتفقت مع جمال عبدالناصر في القاهرة على إتمام العملية بسرعة وبدون ذيول او مشاكل .. ولا داعي لاراقة الدماء لان شلال الدماء إذا تدفق فلن يتوقف أبدا .

ولكن هذا المنطق لم يقنع جمال سالم .. وإستمرت المناقشة محتدمة بيني وبينه طوال الليل .. ومحمد نجيب جالس بيننا كالحكم .. وزكريا منكب على خريطته يوزع عليها الدبابيس التي تحدد مواقع القوات وعقله وسمعه ليسا معنا .. وفي الثانية صباحا شعرنا بالارهاق .. فقام جمال سالم قائلا :

— طيب انا راجع لجمال عبد الناصر في مصر هو وبقية اخواننا اللي رايهم في المسالة دي .. وانتم ما تعملوش حاجه قبل ما ارد عليكم

وفي الثانية والنصف إستقل جمال سالم طائرة من مطار النزهة إلى القاهرة .

اما نحن فقد قمنا بكتابة الانذار الذي سنوجهه إلى الملك في الصباح .. وكان معنا يوسف صديق .. الذي يرعمه .. وقمت انا بكتابته بخطي ولم نكتبه على الماكينة .. ومحاولة تحسين خطي بقدر الامكان .. واتفقت الورقة المكتوب عليها الانذار ونمنا حتى الصباح

وفي الصباح إتجهنا إلى بولكلي دون أن انتظر رد جمال سالم .. لانني كنت متفقا مع جمال عبدالناصر على كل شيء .. وكان علي ماهر قد اعلن خبر وصولنا للصحافة فوجدنا اكثر من ٢٠٠ صحفي في انتظارنا .. ودخلت انا ونجيب مكتب علي ماهر وجلسنا في الكرسيين المقابلين للمكتب .. وكان علي ماهر في قمة سعادته .. لانه تصور أن كل الامور تسير في صالحه واننا سنطلب ليشكر الملك وانه سينال رضى الثورة والملك في آن واحد وسيصبح مركز القوة الوحيد في البلد بعد التخلص من الانحراف .. وانه سيتمكن بعد أن تستقر له الامور من أن يقتص من الملك جزاء ما فعله فيه .. ومن فرط سعادته تبسط معنا في الكلام وطلب لنا فنجانين من القهوة ثم استراح في كرسيه بثقة وقال :

— إن شاء الله تكونوا وصلتم لقرار

قلت له : طبعا .. وتناولت « الشنطة » من جانبي وأخرجت منها الانذار وقمت من الكرسي ثم فردت الورقة الملفوفة وقرأت له الانذار بصوت عال .. وأسقط في يد علي ماهر ورأيته ينكمش في كرسيه .. ومرت دقيقة من الصمت وكأنها دهر .. ثم إبتلع ريقه وقال بصعوبة :

— إنتم واثقين من نفسكم ؟؟

— طبعا

وفوجئت به يقول :

— يستاهل فاروق .. يستاهل احمد حسنين

وأخذ يروي لنا قصة عن الفساد الذي يعشش في القصر .. ثم نظر إلي قائلا :

— انا قلت لك يا ابني .. فاروق كان حاسس يوم ٢٢ بالنهاية دي .. وقال الموضوع مش حيمر على خير .. انا كنت بالقصر .. والنهاية إتبارح بالليل .. لكن كان حاسس إن الموضوع مش حيفوت وإن إللي حصل مجرد بداية .. ولسه النهاية ..

ويروي لنا علي ماهر أن الملك إتصل به الساعة السابعة صباحا وقال إن هناك قوات تحاصر قصره في رأس التين .. وأنه سمع إشتباك بين هذه القوات والحرس الملكي .. ولكنه أمر حرسه بعدم إطلاق النار والاكتفاء بإغلاق أبواب القصر .. وكان الملك — حسب رواية علي ماهر — مذعورا لانه تصور انهم سيقتلونه .. وقد وعده علي ماهر بالاتصال بنا لمعرفة الحقيقة .. ولكنه لم ينتظر فاتصل بالسفير الامريكي « كافري » ليحميه !!

وكان زكريا محي الدين قد اكمل حصاره بالفعل للقصور الملكية في السابعة من صباح يوم ٢٦ يوليو .. ولحسن الحظ كان الملك موجودا في قصر رأس التين .. واخبرني زكريا بعد ذلك أن القوات التي تحاصر رأس التين سمحت لسكرتير السفير الامريكي بدخول القصر .. لان السفير لم يحضر بنفسه بعد إستنجاد الملك به بل اكتفى بارسال سكرتيره الخاص !!

وبعد أن إنتهى علي ماهر من روايته عن الملك طلبت منه أن يأخذ الانذار ليسلمه له .. وكان الانذار يمهل الملك حتى الثانية عشرة ظهرا للتنازل عن العرش .. ومغادرة البلاد في الساعة السادسة مساء .. فقام علي ماهر ليأخذ الانذار .. وطلبت منه أن يوقع على استلامه .. فوقع ثم طلب أن تسمح له القوات التي تحاصر القصر بالدخول .. فاتصلت بزكريا الذي أمر القوات بالسماح لعلي ماهر بالمرور .. ولم تستغرق مقابلة الملك وعلي ماهر اكثر من خمس دقائق .. ومن بولكلي اتصل بي علي ماهر قائلا :

— مبروك .. الملك قبل الانذار وحيمشي الساعة سته .

وجلسنا مع سليمان حافظ المستشار القانوني لرئاسة الوزراء من اجل اعداد صيغة تنازل الملك عن العرش .. واخذ سليمان حافظ التنازل وذهب إلى الملك ليوقعه منه .. وفي المرة الاولى إرتعشت يد الملك عند التوقيع فطلب منه سليمان أن يوقع مرة أخرى .

وقمت بترتيب إجراءات خروج الملك من مصر .. اتصلت بالمحروسة لكي تستعد وكانت تحتاج إلى ٦ ساعات لاعدادها للابحار .. واصدرت تعليمات لسلاح السواحل والطيران بان يحيوه وهو خارج .. ووصلتني اخبار بان مدفعية السواحل تنوي ضرب المحروسة فتدخلت لايقاف ذلك لاننا نريد أن تتم العملية بنظافة وبلا دماء ..

وجاءت الساعة السادسة التي تمثل نقطة التحول بين عهدين .. وصعد محمد نجيب وحسين الشافعي وجمال سالم — الذي عاد من القاهرة — إلى ظهر المحروسة لتوديع الملك .. ووقفت انا على ظهر مركب القيادة المحروسة إبراهيم .. ورؤية هذه اللحظات التاريخية بهدوء وبدون إراقة دماء كما اريد انا وجمال عبدالناصر

اما جمال سالم فكانت له قصة اخرى مع جمال عبدالناصر عندما عاد إلى القاهرة ليعرض عليه خلافنا حول مصير فاروق .. ذهب جمال سالم إلى مجلس الثورة في الثالثة صباحا وأخذ يلح على جمال عبدالناصر ويطالبه بضرورة قتل الملك .. وكان جمال قد اتفق معي على كل التفاصيل في هذه القضية .. ولكنه اراد أن يهدئ جمال سالم ويضيع عليه الوقت حتى ننفذ نحن ما إتفقنا عليه .. فقال له : تعال نروح لعزيز المصري نستشيره في هذه المسالة .. وبالفعل ذهبوا جميعا إلى عزيز المصري بمنزله في الزيتون وايقظاه عند الفجر .. وطرح جمال عبدالناصر القضية على عزيز المصري قائلا : نحن مختلفون حول اسلوب معاملة الملك فاروق .. وهناك رأيان .. رأي جمال سالم ويطالب بقتله .. ورأي انور السادات الذي يرى أن الرجل مستعد للخروج من مصر بدون مشاكل .. فما رأيك انت .

وكان عزيز المصري من طراز الثوار الذين يؤمنون بالعنف .. فرد قائلا : إزاي تسيبوه .. لازم تعدموه .

وبرغم اننا لم نأخذ بمشورة عزيز المصري في هذه القضية مثلنا لم تنس له استاذيته والاب الروحي للثورة .. وعندما اردنا أن نكرمه في سنواته الاخيرة طلب هو أن يعين سفيرا في موسكو لان بعض القادة السوفيت كانوا اصدقاءه .. وظل في موسكو إلى أن طلب هو العودة إلى القاهرة .. وظل عزيز المصري يعيش بشقته في الزمالك إلى أن انتقل إلى جوار ربه .. فشيعناه جميعا تشييعه من ميدان التحرير .. وبعد الجنازة ركبنا جميعا طائرة هليكوبتر واتجهنا إلى برج العرب .. كنا نحب التعرف إلى هذه المنطقة الصحراوية البسيطة بحثا عن الراحة والصفاء والتأمل .. ويبدو أن شمسنا الطويلة في الصحراء جعلتها اقرب المناطق إلى قلوبنا .

وجلست وسط هذا السكون الرائع .. واختلطت العناق ارواحي وفكري .. وتنفست بكلمات لم يسمعها احد : رحم الله المناضل الذي لم يهادن يوما ولم يسترح يوما .. رحم الله الرجل الذي مهد لنا طريق ٢٣ يوليو .. رحم الله عزيز المصري .

انور السادات